وغيرهما. وكما في افغانستان والخليج، شهد العالم، وما يزال يشهد، جمالاً كثيرة تنوء بأحمالها الايديولوجية وتتحوّل، بقوة وتصميم، نحو لغة العصر، لغة السياسة الواقعية، سواء في تشاد، حيث اعترف الرئيس الليبي، معمّر القذافي، بالنظام القائم في ذلك البلد، بعد حرب ضروس، وباشر، بوساطة افريقية، مساعي جادّة نحو السلام، اعتباراً من ٢٠ تموز (يوليو) ١٩٨٩؛ أو في لبنان، حيث وقّع الاتفاق السوري ـ الاميركي عشية انتهاء ولاية الرئيس امين الجميل. ذلك الاتفاق الذي يبدو انه لا يزال موضع تأييد الطرفين، على الرغم من اختلاط أوراق كثيرة منذئذٍ، ناهيك عن «التناغم» الدولي العام الواضح مع نهاية أيلول (سبتمبر) ١٩٨٩ اثر تفاقم الوضع في لبنان، أو التناغم الآخر، سواء في مثلّث جنوب القارة الافريقية، أو مثلث تشاد ـ جنوب السودان ـ ارتيريا، حيث التقى مختلف الاطراف، المتصارعة ايديولوجياً، في حوار براغماتي سياسي، كان آخر تعبيراته الحاسمة النجاح الأولي لوساطة الرئيس الاميركي الاسبق، جيمي كارتر، بين كل من اثيوبيا والمقاومة الارتيرية، في آب (اغسطس) وأيلول (سبتمبر) ١٩٨٩، والتي جاءت جميعاً تعبيراً عن الارهاق الذي عانت منه جمال كثيرة تحت وطأة احمالها الايديولوجية. وأخيراً، في الفترة عينها، وجد الفرقاء المتصارعون، أيديولوجياً وسياسياً وعسكرياً، في اميركا اللاتينية، أنفسهم ينسجمون مع المعطيات الدولية الجديدة، فيسارعون الى التفاوض في الاكوادور ونيكاراغوا والمنطقة المحيطة، علاوة على مباشرة المباحثات البريطانية ـ الارجنتينية، في بداية النصف الثاني من آب (اغسطس) ١٩٨٩.

بعد كل هذه التطورات التي شهدها، ولا يزال يشهدها، العالم، أيقنت القيادة الفلسطينية انه ما عاد بامكانها ـ حتى لو أرادت ـ ان تجعل من الصراع الفلسطيني / العربي ـ الاسرائيلي استثناء، خاصة بعد ان ناءت جمال منطقة الشرق الاوسط بأحمالها الايديولوجية ذات التكلفة العصبية والبشرية والمادية العالية، من جهة، وخاصة انه متعذّر أصلاً، من جهة أخرى، عزل الصراع في الشرق الاوسط عن التحوّلات في العلاقات الدولية، بحيث يكون، بالتالي، محصّناً ضد أجواء الانفراج والوفاق الدولي وضد سيادة اللغة السياسية، عالمياً، على حساب اللغة الايديولوجية.

ثانياً: عربياً

أمّا العنوان العريض الثاني لأسباب التحول السياسي الفلسطيني، فيأتي من الدائرة الاقل اتساعاً من الدائرة الدولية، أي الدائرة العربية. فالوطن العربي يعيش، منذ سنوات طويلة، حالة شبه دائمة من الفرقة التعسة، والتجزئة الكريهة، وتفاقم القطرية بشكلها الكياني المريض. وكانت محصلة ذلك كله حالة ملازمة من الضعف والعجز المحبط، والمقعد عن متابعة أية مساع جادّة لتحقيق أي من الاحلام العربية، وفي طليعتها الحلم العربي الأكبر، حلم استرداد فلسطين. بل ان الحالة هذه شهدت تردياً في الأوضاع أسفر عن تفاقم الكيانية الى طائفية عرقية، وتفاقم الطائفية الدينية الى مذهبية بغيضة، وتفاقم القطرية الكيانية الى دعوات وحقائق كانتونية متصارعة. وفي مثل هذه الظروف، كان طبيعياً ان يتوارى حلم الوحدة العربية، وحلم الدولة العربية الواحدة، وحلم النهضة العربية، وبالتالي حلم تحرير فلسطين، وبخاصة بعد ان قادت حرب العام ١٩٦٧ الى هزيمة كبرى أضاعت باقي التراب الفلسطيني وأجزاء عربية غالية أخرى، وبعد ان قادت حرب العام ١٩٧٣ الى توسيع رقعة الاراضي العربية المحتلة (قبل اتفاقيات فك الارتباط على الجبهتين، المصرية والسورية)، وخروج مصر من دائرة الصراع مع اسرائيل، ليتكرّس، منذئذٍ، ذلك «الخروج» بالتوقيع على صلح انفرادي مع اسرائيل. وغني عن الذكر، ان الحديث، هنا، عن العجز، وان ركّز على الدول العربية، فليس معنى ذلك ان التنظيمات والاحزاب والقوى الشعبية العربية، معفاة من المسؤولية. فالاخطاء السياسية،